

كتاب: الأساس فك العلاج الجمعد (56)

مؤتمر: العلاج الجمعد والعمليات الجماعية: الأمل فك أوقات عصيبة

(القاهرة 25 – 27 سبتمبر 2013)

كيف يمكن استيعاب الموقف البارنوك فك العلاج الجمعد (4 من ؟)

"لميتنك وياريتنك لقيتتك" (2 / ...)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD19813.pdf>

دروفيشور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy.org](http://rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/08/19

السنة السادسة - العدد: 2180



أنهيت نشرة أمس بهذا المقطع من المتن:

"ليست هدهدة بل صفعا"،

تعلو أكثر،

بل ركلاً ضرباً طحنا،

تعلو أكثر،

أنياب تنهش لحمي،

الكلب الذئب انتهب الفرصة،

اغتم الضعف وأنى ألقبت سلاحى.

هذا الموقف يمكن تعميمه إلى بعض المواقف العامة مثلاً فى الحروب ، حين تُستغل الهدنة، أو وقف إطلاق النار، للتجهيز لانقضاض خادع، بعد انخداع أحد الطرفين بإلقاء سلاحه، أو استرخاء دفاعاته، وهو يطمئن إلى ما لاح له جديراً بالاطمئنان، وهو غير ذلك.

فى حالة حدوث سوء التوقيت هذا، على مسار العلاج، بما يترتب عليه ما ذكرنا بما يمكن أن ينتهى إليه من تراجع، ومهانة، وإحباط، إذا حدث ذلك فإن معاودة طرح استعادة الثقة بالمعالج، أو بالوسط العلاجي، تصبح أصعب مما كانت عليه قبل بداية العلاج بشكل أو بآخر.

قبل أن ننبه إلى التحفظات اللازمة لتجنب ذلك، دعونا نقرأ الصورة المقابلة فى "قصيدة القط" من ديوان "أغوار النفس" ربما تتضح الأمور أكثر لنعايش هذا الذى أقدم على التنازل عن دفاعاته البارنوية، بمجرد أن اطمأن إلى أنهم - الآخرين - لم يتركوه ولم يكذبوه لكن ليس بهذا القدر من الطمأنينة الخطرة حتى التسليم.

لسه حوالى ماحدثش خاف،

ولأ كدبنى!!

طب هه: راح اسيب"

سوف نرجع لنلاحظ الفرق بين هذا السيبان هنا، وبين ما جاء فى قصيدة "جبل الرحمات"، فى ديوان "سر اللعبة" أما الآن فيكفى أن ننتبه إلى أن "السيبان" هنا هو تخل كامل عن دفاعات الموقف البارنوى، حتى يصل إلى الشعور بعودة الجسد نفسه إلى معالم بدائية ممتزجة، بلا حول ولا قوة":

أنا جسمى اتبعزق،

زى فطيرة مشلتتة لسه ما دخلتشى الفرن.

ولا عاد لي إيد ولا رجل،  
ولا قادر اتلم  
..ياحلاوة دقة قلبي وهي بتحويكم.  
يا حلاوة نفس الطالع داخل وسطيكم.  
طاير نواحيكم.  
ناحية ربنا فيكم.  
يا حلاوة الحنية الهادية النادية:  
لا بتسأل مين ولا ليه!!  
ولا عاد لي إيد ولا رجل ولا عارف اتلم.

ربما يكون الفرق المهم بين هذه الخبرة، وبين ما جاء في القصيدة الفصحى، هو في أمرين:  
أن صاحب القصيدة الفصحى - تقمصا أيضا- لم يكن مريضا، وبالتالي بدت تلقائيتها في التنازل  
عن الدفاعات أقوى وأكثر مبادرة ودافعة إلى مواصلة السعي إلى الآخر، إلا أننا نلاحظ هنا أنه ربما  
لفرط "السيبان" احتاج الأمر إلى الاستنقاذ بالقوة الضامة المركزية التي أشرت إليها في مواقع كثيرة  
من قبل، وهي التي تستلهم قوتها ومشروعيتها من انجذاب الوعي الشخصي إلى ما، بل إلى من ،  
يجمع الناس بعضهم ببعض، (اجتمعا عليه وافترقا عليه)، بل إلى ما، وإلى من، يجمع الأكران إلى  
بعضها دون أن يفصل عن الوعي الشخصي (اقرب إلى حبل الوريد) ربما هذا هو ما عبر عنه  
الحدس الشعري قائلا:

'يا حلاوة نفس الطالع داخل وسطيكم.  
طاير نواحيكم.  
ناحية ربنا فيكم"، (1)

أيضا تتميز هذه القصيدة هنا بإضافة تشير إلى أن عدم تدعيم هذا الموقف بالألفاظ (والتفسير)  
هو أمر مطلوب وجيد،

"لا بتسأل مين ولا ليه!!"

كما نلاحظ أن ثمة إشارة إلى أن ما يسمى التغير النوعي لإدراك  
الذات (Depersonalization) وهو من علامات النمو أكثر منه عرضا مرضيا)، قد تم التنويه عنه في  
المتن أيضا

"وانا برضه نسيت أنا مين، وانا إيه"

التراجع هنا في هذه القصيدة قد بدأ من صاحب الخبرة نفسه حين لم يصدق أن هذا الحال يمكن  
أن يدوم، وأنه لا يمكن أن يُصبر عليه:  
"ولإمتي كده؟؟"  
لأ مش قادر".

لم يكن ذلك نتيجة أن الآخر انتهر الفرصة فانقض عليه، إن المطمئن هنا (قبل الأوان) قد  
يتملكه الخوف، وهو لا يسارع بلوم الآخرين واتهامهم بالتخلي أو الخيانة، بل إنه يتبين في نفسه  
التنشيط الذي حدث للموقف البارنوي داعيا للتراجع، بدءا بالخوف من الاقتراب (لا تقتربوا أكثر)،  
بالخوف من الثقة، بالخوف من الحب، بالخوف من الآخر، وهو هنا يدرك مسئوليته في الدفع  
والرفض، حتى أنه هو الذي يجهض التجربة، ويسارع بالعودة إلى ميكانزماته البارنوية بكل زخمها:

أصل أنا خايف،  
أنا خايف موت،

إِخْصَ عَلَيَّ، خَافَ مِنْ إِيَّاهُ؟

مَنْ لَمْ يَسْ أَيْدِينَ أَيُّهَا صَاحِبِي.

أَهَى كِدَا بَاظَتْ،

بَاظَتْ مِنِّي،

رَجَعْتُ "لَكِنْ":

خَافَ تَفْعَصْنِي أَنْتَ وَهُوَ، وَتَقُولُوا بِنَحْبِ.

وهو يبهر ذلك ليس بانقضاضهم عليه، وإنما بعجزهم عن رؤيته، عن الاعتراف به، عن حبه.

"إِيشَ عَرَفَكُمُ بِاللِّي مَا كَانَشِي،

بَاللِّي مَا لُوَهَشِي،

بَاللِّي مَا بَاتَشِي.

ويعودته إلى دفاعاته البارنوية، يرجع التوجس، واليقظة البشعة المتلغفة،

عَمَالِ بَاحْسَبِ هَمَسِ حَقِيفِكُمْ.

بَاحْسَبِ خَوْفِكُمْ.

خَوْفِي مِنْكُمْ.

مَخَى مَصَهَلِّ، وَبِيْتَفَرِّجْ، وَلَا فَيْشَ فَايِدَة.

يبدو أن هذه الخبرة هنا هكذا يمكن أن تنتهي بمضاعفات أقل من الخبرة التي وردت في

القصيدة الأولى "جبل الرحمات"، فنلاحظ أن ثمة عودة تلوح في اتجاه استعادة دفاعات الموقف

البارنوي دون اندمالات ظاهرة، فيعلن مثل هذا الشخص الجوع إلى الآخر شريطة ألا يقترب، إلا

بمقدار، فهو الشك والتوجس، فالتذبذب بين الإقدام والإحجام الذي يتصف به الموقف البارنوي، لكنه

يبدوا هنا أنه يتزايد باضطراد لا يعد بنهاية قريبة

"تَطَّ مَنِّي، غَصَبَ عَنِّي،

جَوْعَهُ مَسْعُورٌ، وَيَعَايِرْنِي،

شَكَّنِي فِي الْكُلِّ كَلِيلَة".

مع هذا التراجع والتمادي، يقفز تهديد جديد يلوح بالعودة إلى الخلف أكثر،

إلى الموقف الشيزيدي،

رَجَعْنِي لِلْوَحْدَةِ النَّيْلَة!

(بلا طائل)

لَمِيَّتْنِي، وَيَارِيَّتْنِي لَقِيَّتْنِي...

من الصعب تماما أن يواصل مثل هذا الشخص (أو أي شخص) معاشية هذا الموقف طول

الوقت، وهو إذ يحبط بكل هذا القدر، يجد نفسه في مواجهة واقع قاس متربص بعيد مستعد

للانقضاض، فيحاول أن يللم نفسه وكأنه بذلك يحميها من استجداء آخر بلا أمل، ولكن هذا اللم لا

يحقق له وجودا بشريا حقيقيا "يأخذ ويعطى"، فهو موجود فردا منفصلا، فهو غير موجود

"لَمِيَّتْنِي، وَيَارِيَّتْنِي لَقِيَّتْنِي"

ومع استمرار هذا الوضع يكون الإغراء بالنكوص الكامل إلى الرحم، (الانسحاب- التوقع-

اليأس من الحب... إلخ) لكن المتن هنا يعرّي هذا الانسحاب باعتبار أن العودة إلى الرحم هي نكسة

وهزيمة، لكنها الحل المطروح الجاهز ظاهراً

فَيْنِكَ يَا مَهْ؟

نَفْسِي أَتَكُومُ جَوَاكِي تَانِي،

## بطنك يامه أمان وأشرف من حركاتهم

ولكن هل هو حل فعلا؟؟!! التراجع المتمادى يقدم هذه الخطوة كأنها حل ممكن، يعنى صاحبنا (يعفينا) من شوك الشك، وإهانة الصد، وقسوة الترك، ليكن، لكن لا بد أن نعلم أنه مهما بدت رغبة المريض (أو السليم) فى تجنب كل ذلك بالانسحاب الأقصى، فإن طبيعة دفع الحياة فى داخله، وفى خارجه أيضا، ترفض هذا الحل، المتن هنا ينبه إلى صعوبة هذا التراجع مهما لوح بأنه الحل، فيجرب حوارا بين الرحم وبينه، فيصله كيف أنه ليس سهلا هذا القرار، كما تحذر الأم:

نرى من خلال هذا الحوار كيف ان الموقف البارنوى المحبط بعد إلقاء سلاح دفاعاته هو أصعب من الموت نفسه، حتى الموت يبدو بعيد المنال:

وان ما قدرتش!!؟

"=الموت أهون."

-وان ما حصلشى؟

= تبقى الفرجة، وشك الغريبة، وشوك الوحدة.

إذا تبينت حقيقة قنوات النكوص إلى الرحم هكذا، وظهر مدى صعوبه العودة عبرها، وأيضا إذا امتنع الموت لم يتيق للشخص إلا العودة إلى الموقف البارنوى الذى يكون قد فقد زخم حدثه تماما بعد أن ألقى سلاحه، فيغلب الجانب السلبي فيه: **فهو لم يعد موقف كرا وفر، بل أصبح موقف شلل، وغريبة، وألم، وانتظار،** وهذا هو أفسى وأذل أوجه الموقف البارنوى: حين يعجز عن الخطو نحو الموقف العلاقتى (الاكتئابى)، وفى نفس الوقت يعجز عن النكوص إلى الرحم، وأيضا عن الاختفاء بالموت، وكذلك وفى نفس الوقت يعجز عن أن يواصل شحذ آليات دفاعه كرا وفرا، حين تسد الطرق هكذا يعلن المتن شكل المآل المهين

"تبقى الفرجة، وشك الغريبة، وشوك الوحدة.

فى العلاج النفسى، نحاول أن نتجنب هذا المآل الاستسلامى العاجز، حتى لو صاحبه اختفاء الأعراض المزعجة مثل الضلالات والهلاوس، خاصة ضلالات الاضطهاد، ليحل محلها ضلالات الإشارة (مثلا)، ولعل هذا هو المقصود بـ "تبقى الفرجة"، وشك الغريبة، وشوك الوحدة".

تنتهى الفقرة بأن هذا المصير هو الأمر الواقع (السلبي) الجديد

أهو دا اللى حصل!!

هل يمكن أن يكون ذلك، أو بعض ذلك، هو مآل (أو مضاعفات) بعض العلاج النفسى غير الموفق؟

الإجابة هى بالإيجاب للأسف، إن تعريض المريض للتخلى عن دفاعاته، دون جاهزية الإحاطة العلاجية، والدعم، والحوار الممتد، يمكن أن يؤدي إلى تأكيد الأمراض (السيكوباتولوجى) برغم احتمال تخفيف الأعراض الظاهرة.

لا توجد فائدة، والموقف كذلك، من التركيز على بحث الأسباب، أو لوم المحيطين، ذلك أن الشخص (أو المريض) فى هذا الموقف يكون مشاركا فاعلا فى تفاقم أحواله، الذى انتهى إلى هذا الاستسلام فالاندمال أو الانسحاب الذى يبدو أبعد ما يكون عن احتمال إعادة التحريك، فماذا يفيد التساؤل أو البحث عن الأسباب، ونحن أمام واقع جسيم حصل ورسخ

فى كثير من الأحيان، يتجمد الموقف عند هذا الاستسلام، شعوريا أو لا شعوريا، فهى لم تعد معركة كرا وفر، ولا هى تجاوزت ذلك إلى مخاطرة علاقة صعبه مؤلمة متحديه بالموضوع مهما كانت مؤلمة، ولا هى سمحت بعودة إلى الرحم تراجعا طلبا لراحة سلبية وكرامة تجنبيه، فلا يتبقى أمامه من فرصة تلامس مع آخر إلا "بخطف لمحة عاطفية من هنا"، أو "توهم رؤية محتملة لوجوده

من هناك"، ثم عودة سريعة إلى الحوصلة الشيزيدية، وهكذا، طول الوقت.  
راجع "كما كُنْتُ"، ... قاعدٌ ساكتٌ تحت سرير الست،  
حاطفٌ حَتَّةَ نظرة، أو فتفوتةٌ حُب،  
واجري آكلها لُوْحَدِي، تحت الكرسي الـ"مِش باين"

من هنا وجبت إعادة التحذير من جديد، والعمل على التدريب على ضرورة إتقان حسابات  
التعرض لمثل هذه الخبرة، لأنها ما لم تكن محسوبة ومدروسة وتجرى في مجتمع علاجي سليم،  
ووسط خاص وداعم وممتد للفترة الكافية، .. مالم تكن هذه الشروط متوافرة فإن التعريض لهذه الخبرة  
يصبح تخبطا عشوائيا خطرا.

**وبعد**

ما هو دور العلاج الجمعي لمنع هذا المآل والتحول به إلى دفع مسيرة النمو؟  
هذا ما سوف نتناوله في الحلقات القادمة.

[1] - هذا ضمان موضوعي أتعامل معه في العلاج الجمعي عمليا، وفي علاج الوسط، وإلى درجة  
أقل في العلاج الفردي، بشكل واقعي شديد الإفادة.

\*\*\* \*\*

في ذكرى تأسيسه : 10

شبكة العلوم النفسية العربية... بخرم

10 : شخصيات من أبرز العلماء النفسانيين العرب

بلقـ:ـ

"الراسخون في العلوم النفسية"

[www.arabpsynet.com/Rassikhoun/RassikhounCongrat.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rassikhoun/RassikhounCongrat.pdf)

الطبيب النفسي :

يحيى الزخاوي - احمد محاشة - محمد أحمد النابلسي - طاهر السامرائي - محمدان التكريتي

علم النفس:

محمد الستار ابراهيم - مصطفى مجازي - علي زيجور - قحري حفني - أحمد محمد الخالق